شبهات المستشرقين حول مصدرية القرآن وجمعه

عبدالباقي عبدالكبير

إن التشكيك في الوحي والرسالة التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أهم ما يصبو إليه أعداء الإسلام في كل عصر، وذلك لأنهم إن اعتقدوا وسلّموا بالمصدر السماوي للرسالة فلا يمكن تبرير موقفهم المعادي للإسلام بعد ذلك، وغالبية المستشرقين يدرسون الإسلام، ليس بروح متحررة بعيدة عن القناعات المسبقة، بل بتأثير من البيئة المعادية للإسلام وقناعاتهم السابقة حول الدين الإسلامي، ما يجعل أغلب الدراسات الاستشراقية تفقد موضوعيتها في البحث العلمي، وتبحث عن الروايات التاريخية ـ دون النظر إلى صحتها أو ضعفها ـ التي تدعم من قريب أو من بعيد ادعاءاتهم، وبذلك يفترق المنهج الإسلامي النزيه في الوصول إلى الحقائق وقبولها عن المناهج الموجهة لخدمة القناعات والتوجهات المسبقة وجعل ميدان البحث العلمي مطية لها، وغطاء مميعا لتعصباتهم.

وفي هذا البحث سوف أناقش شبهتين يوردهما المستشرقون حول أهم القضايا المتعلقة بالقرآن الكريم، وذلك في مساعيهم لأجل نفي المصدر الإلهي عن الرسالة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم وزعمهم أن التحريف والتبديل قد مسّ القرآن خلال عمليات جمع الكتاب الكريم، فسأعالج في هذه الدراسة القصيرة هذين الجانبين:

١- شبهة حول مصدرية القرآن وقولهم إن النبي صلى الله عليه وسلم قد اقتبسه من التوراة والإنجيل وأشعار العرب.

٢- شبهة حول ثبوت القرآن وقولهم إنه تعرّض للتحريف والإضافة والتبديل[١].

١- وهذا الاتجاه بدأ بين الجيل الجديد من المستشرقين الذين يزعمون أن القرآن ليس بتأليف محمد صلى الله عليه وسلم فحسب، بل إنه اتخذ شكله الحالي تدريجيا عبر تطورات وتعديلات تمت في القرنين الأول والثاني من الهجرة. ومن روّاد هذه الشبهة ج. وانسبرة (J. Wansbourough)، وج.أ. بيلامي (J.A. Bellamy) ، وأندرو ريبين (Andrew Rippin).

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

أولاً: الشبهة حول مصدرية القرآن:

يشكك بعض الباحثين الغربيين في مصدر القرآن الكريم، ويدّعون أنه ليس من عند الله، ويعتبرونه من كلام محمد صلى الله عليه وسلم اقتبسه من مصادر أخرى، ويذكرون له مصادر من أشعار العرب والتوراة والإنجيل، وهذه الشبهة ليست متفقة تفصيلياً بين هؤلاء الباحثين، بل قد تأخذ شكلا هنا وآخر هناك، ولكنهم متفقون فيما بينهم في إطار إثارة الشكوك حول كون القرآن وحياً من عند الله[٢].

وقد تولى القرآن الكريم الرّد على هذه الشبهة التي قد أثارها خصوم الدين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[٥]، والقرآن الكريم ركّز هنا في إبطال الشبهة على أمّيته صلى الله عليه وسلم وسابقة حياته وسطهم، وهذا ردّ مفحم لمن كان

= وقد قام ببسط ادعاءاتهم وترويجها آخرون أمثال باتريشيا كرون (Patricia Crone)، ومايكل كوك (Michael Cook)، وكينيث كراج (Kenneth Cragg)، وتوبي ليستر (Toby Lester). انظر: الدكتور محمد مهر علي، **مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم** وهو منشور على موقع المفكرة الدعوية على الرابط:
www.dawahmemo.com/download.php?id=١١٦٣

٢- وروّاد هؤلاء المستشرقين منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ألوي سبرنجر (Aloy Spernger)، ووليم ميوير (William Muir) وثيودور نولدكة (Theodore Noldeke)، واجناز جولدتسيهر (Ignaz Goldziher)، ودبليو فلهاوسن (W. Wellhausen) ، وليون كايتاني (Leon Caetani)، ودافيد ساموبل مرجليوث (David Samuel Margoliouth). وقد قام بتطوير آرائهم وتضخيم استنتاجاتهم آخرون تبعوهم في القرن العشرين الميلادي، وفي مقدمتهم ريتشارد بيل (Ritchard Bell) وتلميذه وليم مونتغمري وات (William Montgomery Watt). وماكدونالد وجميع هؤلاء المستشرقين يسعون بشتى الأساليب إلى الاستنتاج أن القرآن الكريم ليس من عند الله بل هو من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم اقتبسه من الكتب السماوية السابقة وأشعار العرب. انظر: الدكتور محمد مهر علي، **مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم** وهو منشور على موقع المفكرة الدعوية على الرابط:
www.dawahmemo.com/download.php?id=١١٦٣

٣- سورة النحل، الآية: ١٠٣.

٤- سورة الفرقان، الآيات: ٤-٦.

٥- سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

يعيش ويعرف النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان الصدق معروفا عنه طوال حياته، والذي لم يكن قد جلس لأحد للتعلم، حتى يتسنّى له الاقتباس من الكتب السابقة[٦].

إن مناقشة هذه الشبهة تستند إلى عدة حقائق:

١- توجد فروق جوهرية بين القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة يستحيل معه صدق دعوى الاقتباس أو القول بأن القرآن هو صياغة جديدة للتوراة والإنجيل، ويمكن أن نجمل هذه الفروق في مجال عقيدة التوحيد، ووصف الأنبياء والمرسلين، والفروق التشريعية، والمقارنة بين قصص الأمم السابقة في كل من القرآن والكتب السماوية السابقة، وإيراد الأدلة وشرح الحقائق التي لا تترك مجالا للشك في أن هذه الرسالة من عند الله عز وجل:

* إن واقع القرآن الإيماني يختلف تماما عن أصول الإيمان في التوراة والإنجيل بصورتهما الحالية، حيث إن عقيدة التوحيد هي الركيزة الأولى في صرح الإيمان القرآني وهي عقيدة واضحة صريحة متناسقة مع الحقائق العلمية والمبادئ العقلية[٧]، وإن الله عز وجل في القرآن الكريم موصوف بكل صفات الكمال ومنزّه عن كل صفات النقص والعيب، وأما التوراة والإنجيل أو ما يسمى بالعهد القديم والعهد الجديد فإنهما بعيدان كل البعد عن عقيدة التوحيد، فعقيدة التثليث عقيدة مناقضة للتوحيد، وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة، ونسبوا لله الصاحبة والولد، كما أن عقيدة التثليث غامضة غير مفهومة لا يقبلها العقل وهي غير واضحة للقساوسة أنفسهم. وقد حكى الله عن اليهود من عبادة العجل وقولهم: عزير ابن الله، كما أن اعتقاد اليهود في الله عز وجل يختلف تماما عن الاعتقاد به في الدين الإسلامي؛ إذ إن اليهود يعتقدون الإله الخاص لأنفسهم، ويتعاملون معه على أساس هذه الخصوصية الإسرائيلية. وقد طغى تصور التجسيد

٦- وقد ردّ محمد بن عبد الله بن قتيبة في كتابه **تأويل مشكل القرآن** والقاضي عبدالجبار في كتابه **تنزيه القرآن عن المطاعن** على هذه الشبهات، ومحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، المكتبة الثقافية بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، وعبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، **افتراءات المستشرقين على الإسلام: عرض ونقد**، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ١٣وما بعده، كما تصدى جمع من العلماء الكرام لشبه أعداء الإسلام عموما تحت إشراف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بجمهورية مصر العربية وأوردوا ١٤٧شبهة مع الرد الوافي على كل شبهة في كتاب **حقائق الإسلام في مواجهة المشككين** والكتاب طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالقاهرة، عام ٢٠٠٢م في ٦٧٠ صفحة.

٧- انظر في ذلك شهادة بروفيسر عبدالأحد داود (دافيد بنجامين كلداني) الذي كان قسّا وأستاذا للاهوت ثم أسلم فقال: "إن العقيدة الإسلامية هي العقيدة الصحيحة تماما خاصة فيما يتعلق بالذات الإلهية"، عبدالأحد داود، **اليهود والنصارى**، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، ص ٣٠.

والتجسيم على عقيدتهم في الإله، واعتقدوا النزول المادي للإله. ويتبين من ذلك أن التأسيس الكهنوتي اليهودي لم يكن تأسيسا توحيديا وإنما جاء تأسيسا وثنيا، ولأن فكرة تخصيص الإله طبيعية بالنسبة للشعوب والفئات الوثنية[٨]، فكيف يمكن أن يكون القرآن اقتباسا من الكتب السابقة، حيث إن من معنى الاقتباس أن يدور المُقتبِس في فلك أفكار ومبادئ المقتبَس منه، ولكن القرآن الكريم يسفه معتقداتهم وينقضها ويقدم بديلا صحيحا واضحا.

* الإسلام دين عالمي إنساني لا فضل فيه لأحد على أحد إلا بالتقوى، يحارب العنصرية والتفاضل على أساس اللون أو الجنس، قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[٩]، ولكن اليهودية تؤمن بنظرية الأنانية الجماعية في تفسير الخير، النظرية التي تسببت في شقاوة العالم القديم والمعاصر، إذ تجعل هذه النظرية للشعب حق الاستئثار بخيرات العالم، ويحقُّ له أن يستغلَّ الآخرين لمصلحته، وهذه النظرية اليهودية تقول: إن اليهود هم شعب الله المختار؛ وذلك عندما قالوا: إن الواجب مراعاة الحقوق داخل المجتمع اليهودي أما خارجه فلا التزام بها، وقد حكى القرآن الكريم عنهم: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[١٠]، ففي هذه الآية الكريمة يشنِّع الله عز وجل على اليهود تقوُّلهم عليه بإعطاء الأنانية الجماعية صبغة دينية، وببيان أنهم غير مكلفين بمراعاة حقوق غير اليهود، وباعتقاد اليهود أنهم شعب الله المختار انتقل من الصفوة إلى الصفوة، ولذلك لا يرضى اليهود أن يدخل اليهودية أي من الناس، وبلغ اعتقادهم بسمو عنصرهم أنهم يترفعون عن الأجناس البشرية الأخرى، ومن أجل ذلك لم يسعوا إلى التبشير بدينهم، وأنِفوا من اشتراك غيرهم في الانتساب إلى إبراهيم، وحصروا هذا الشرف في نسل يعقوب وحده، وبهذا السبب فإن اليهودية تتراجع عدديا حتى أمام البوذية التي ليس لها أساس سماوي. وحسب النص التوراتي يظهر نضال النبي موسى عليه السلام لأجل غاية واحدة، وهي رفع الظلم عن بني إسرائيل، والسماح لهم بالخروج من مصر. وليس هناك إشارة ـ حسب نصوص العهد

٨- حسن الباش، **القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان؟** دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م، ٢/ ١٠١.

٩- سورة الحجرات، الآية: ١٣.

١٠- سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

القديم ـ لدعوة أو طلب نبوي من موسى باتباع عقيدة التوحيد ونشرها أو قبول أي فرد من شعوب المنطقة في هذه العقيدة أو إطارها، فهم لا يريدون نشر هذه العقيدة لأنها عقيدة بني إسرائيل وحدهم، فهم يحصرونها في هذه المجموعة البشرية التي خرجت خشنة من سيناء، ويريدون إبادة كل من يجدونه في الأرض أمامهم، دون أن يأخذوا بنشر دعوتهم التي أصبحت تعبيراً طبيعيا لشعب خاص وجزءاً من ثقافة اجتماعية لا تقبل الغرباء(١١). والذي يقرأ الأسفار كلها لا يجد فيها ما يدل على أن موسى أو بني إسرائيل كانوا مأمورين بدعوة غيرهم إلى ديانتهم، وكل ما في الأسفار منصب على كون الديانة اليهودية ديانتهم الخاصة، وكون الرب ربهم الخاص، فأسفار التوراة تفصح عن هذه العنصرية التي تتميز بها العقيدة اليهودية، وهذا أدى إلى دمج الفكرة القومية بالدين، ومنذ ولادة الصهيونية في القرن التاسع عشر وهي تعمل جاهدة على تكوين شخصية اليهود القومية، وهذه الشخصية المختارة كان لابد لها من أرض تأخذ بها أبعادها، والأرض المختارة أيضاً حددها الرب في وعود متكررة لأنبياء بني إسرائيل، ومن هنا كانت اليهودية قومية كما كانت القومية اليهودية دينية، فلا فرق عند اليهودي بين دينه وقوميته ولا معنى لأحدهما دون الآخر(١٢) فهل يصدق مع هذه الفوارق دعوى الاقتباس؟

* عقيدة البعث بعد الموت واضحة في الإسلام لاشك فيها ولا غموض، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(١٣)، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾(١٤)، وقال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾(١٥)، ولكنها غامضة في العهد القديم، حيث إنها تؤكد على الموت فتقول على لسان النبي داود عليه السلام: "لكل الأحياء يوجد رجاء فإن الكلب خير من الأسد الحي لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون أما الموتى فلا يعلمون شيئاً وليس لهم أجر بعد لأن ذكرهم قد نسي ومحبتهم وبغضهم وحسدهم هلكت منذ زمان ولا نصيب لهم إلى الأبد في كل ما عمل تحت الشمس"(١٦). إذا دققنا في هذا النص

١١- حسن الباش، **القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان؟**، ٢/ ٦٨.

١٢- حسن الباش، المرجع السابق، ٢/ ٧٠.

١٣- سورة الحج، الآية: ٦.

١٤- سورة الحج، الآية: ٧.

١٥- سورة التغابن، الآية: ٧.

١٦- حسن الباش، **القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان؟** ٢/ ٢٤١.

التوراتي فإنه غامض تجاه البعث بعد الموت بل أقرب إلى أن الموت فناء ولا بعث بعده، وانظر هذا النص: "هذا يموت في عين كماله وكله مطمئن ساكن وأحواض مملوءة لبنا ومخ عظامه طري وذلك يموت بنفس مرة ولم يذق خيراً كلاهما يضطجعان معاً في التراب والدود يغشاهما". (سفر أيوب ٢١-٢٢-٢٦)

* إن القرآن يضع الرسل كلهم على قدم المساواة في وجوب الإيمان بهم وبما أنزل عليهم، وأنهم عباد مصطفون أخيار، وأن التوحيد هو دين الأنبياء والرسل جميعا، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾(١٧)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾(١٨)، وأن دعوتهم جميعا كانت لإفراد الله بالعبادة، وأن الاختلاف بينهم هو في الشرائع التي تختلف باختلاف الزمان(١٩)، بينما اليهود والنصارى لا يؤمنون إلا برسلهم ويصفونهم باقتراف الآثام والزنى وينسبون إليهم أعمالاً قبيحة، فمن ذلك(٢٠) قولهم: إن نبيّ الله هارون صنع عجلاً، وعبده مع بني إسرائيل(٢١)، والقرآن يقصّ علينا أن من صنع ذلك هو السامريّ، وأن هارون أنكر ذلك أعظم الإنكار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾(٢٢)، وقولهم: إن إبراهيم خليل الرحمن قدّم امرأته سارة إلى فرعون حتى ينال الخير بسببها(٢٣)، وقد قصّ الرسول صلى الله عليه وسلم هذه القصة عن إبراهيم عند دخوله مصر، وفيها أن ملك مصر كان طاغية، وكان إذا وجد امرأة جميلة ذات زوجٍ قتل زوجها وحازها لنفسه، فلما سئل إبراهيم عنها قال: هي أخته، يعني أخته في الإسلام، وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله

١٧- سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

١٨- سورة النحل، الآية: ٣٦.

١٩- محمد بن عبد الله بن صالح الهبدان، **التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات**، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٥٣، ومحمد خليفة، **الاستشراق والقرآن العظيم**، نقله إلى العربية مروان عبدالصبور شاهين، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٤٣.

٢٠- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٢١٩.

٢١- **سفر الخروج**، الإصحاح، ٣٢/ ١.

٢٢- سورة طه، الآية: ٩٠.

٢٣- **سفر التكوين**، الإصحاح، ١٢/ ١٤.

حفظ سارة عندما ذهبت إلى الطاغية، فلم يمسّها بأذى، وأخدمها جارية، هي هاجر أم العرب المستعربة[٢٤]. ومن ذلك قولهم: إن لوطًا عليه السلام شرب خمرًا حتى سكر، ثم قام على ابنتيه فزنا بهما الواحدة بعد الأخرى[٢٥]، ومعاذ الله أن يكون هذا النبيّ الكريم على الله بهذا الخلق، وهو قضى عمره يدعو إلى الفضيلة ويحارب الرذيلة. وورد في **إنجيل متى** من العهد الجديد أن عيسى عليه السلام من نسل سليمان بن داود عليهما السلام وأن جدهم فارض هو من نسل الزنا من يَهوذا بن يعقوب[٢٦]، وقالوا في عيسى عليه السلام: إن يسوع أهان أمّه في وسط جمعٍ من الناس[٢٧]، فأين هذا مما وصفه القرآن به: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[٢٨]، فهل مع كل ذلك يستقيم القول بأن القرآن صياغة جديدة للتوراة والإنجيل، صاغه النبي صلى الله عليه وسلم من المعلومات التي تلقاها من السابقين[٢٩].

* وأما الفوارق التشريعية بين القرآن والكتب السماوية السابقة، فإن البعد شاسع بينه وبينها، ويستحيل صدق دعوى الاقتباس في ذلك، فإن الأناجيل كادت أن تخلو من التشريعات، لأنها عبارة عن تصوير حياة المسيح عليه السلام من خلال وجهة نظر كاتبيها. والتشريع التوراتي أيضاً لا صلة له بالتشريع القرآني، فمثلا: الربا حرام في التعامل بين اليهود أنفسهم، أما أخذ اليهود الربا من غيرهم فحلال، والقرآن الكريم يحرم الربا في جميع صوره، وفي التشريع اليهودي حول الميراث فإن البنت ليس لها ميراث من أبيها والذي يرث هو الابن، وقد جعل الإسلام للمرأة ميراثا في كل الأحوال وما يتطابق مع احتياجاتها وضروراتها ومسؤولياتها الاجتماعية[٣٠]، والتشريع اليهودي فيه تفاضل بين الناس على أساس العرق والنسب والدم، واليهودي بهذا الاعتبار هو سيد الناس (اليهود شعب الله المختار)، وغير اليهود ليسوا بشراً لأنهم ليسوا مخلوقين من قبل الله، وإن خلقوا فلأجل خدمة اليهود، واليهودي مقدس وغير اليهودي نجس وحيوان، والغرباء (غير اليهود) وثنيون تجب إبادتهم وإن لم تحصل الإبادة فيجب معاملتهم بنظرة

٢٤- أخرج البخاري هذه القصة من رواية أبي هريرة،كتاب الأنبياء، باب قول الله عز وجل ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ حديث رقم ٣١٧٩.

٢٥- **سفر التكوين**، ١٩/ ٣٠.

٢٦- **إنجيل متى**، الإصحاح، ١/ ١٠.

٢٧- **إنجيل يوحنا**، الإصحاح الثانِي، / ٤.

٢٨- سورة مريم، الآية: ٣٢.

٢٩- عبدالعظيم إبراهيم محمد، **افتراءات المستشرقين على الإسلام: عرض ونقد**، ص ١٣.

٣٠- حسن الباش، **القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان؟** ٢/ ٥٠٧.

دونية، جاء في **التلمود**: "إن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة فإذا ضرب أمّيٌّ إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية"(٣١) ويقول **تلمود أورشليم**: "إن النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان"(٣٢). وأما القرآن فالناس فيه سواسية كأسنان المشط، وإن رسالة الإسلام رسالة إنسانية عالمية، ولا تفاضل في رسالة الإسلام على أساس الجنس والنسب واللون، بل التفاضل يكون بالإيمان والتقوى والعمل الصالح، فما أبعد ما بين التشريعين!

وأما من حيث القصص، فهناك تشابه عام بين القصص الواردة في كل من التوراة والقرآن، لكن التشابه ما يكاد يبدأ حتى يفترق فروقا تفصح عن الخطأ في جانب، والصواب في جانب آخر، فالقرآن الكريم قد صحح ما حرّفه بنو إسرائيل حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾(٣٣)، فمن قصص القرآن ما لا وجود له في التوراة والإنجيل، كقصتي عاد وثمود، وما ورد فيهما معا فمختلف إلى درجة تجعلنا نقطع بأن العهد القديم لم يكن مصدراً للقرآن على الإطلاق، فقصة نوح عليه السلام وردت في القرآن والتوراة مثلا، ولكن التوراة تخلو من الحوار الذي دار بين نوح وابنه، وتضطرب التوراة في ذكر الأنواع التي أمر نوح بحملها معه في السفينة فمرة تقول اثنين ومرة سبعة، وأما القرآن فيجزم من غير تردد أن نوحا أُمِر أن يحمل معه من كلٍّ زوجين اثنين. وقصة يوسف وردت كذلك في الإنجيل والتوراة، لكن التوراة تخلو من ذكر النسوة اللاتي دعتهن امرأة العزيز وقطعن أيديهن لما رأين يوسف، بينما القصص القرآني أورد ذلك، والتوراة تخلو من تمزيق امرأة العزيز قميص يوسف وهو منصوص عليه في القرآن، والتوراة تنص على أن يوسف خرج من بيت العزيز عريانا تماما عقب المراودة، والقرآن يخلو من ذلك، الأمر الذي يبين علو مستوى التعبير القرآني بما يتناسب مع منزلة الأنبياء.

* العدد الأكبر من سور القرآن الكريم نزل بمكة ٨٥ سورة، ولم يكن بمكة في هذا العهد يهود ولا نصارى، ولا كان للنبي صلى الله عليه وسلم صلة بهم خارج مكة، فمن أين استمد النبي صلى الله عليه وسلم منهم؟ وما نزل من القرآن بالمدينة المنورة احتوى على حوار قوي مع أهل الكتاب بيّن فيه القرآن بعض أخطاء أهل الكتاب، بالخصوص اليهود، وقتلهم لأنبيائهم، وتطاولهم على الذات الإلهية، وأعلن

٣١- المرجع السابق، ٢/ ٥١٣.

٣٢- المرجع السابق، ٢/ ٥١٥.

٣٣- سورة النمل، الآية: ٧٦.

بوضوح خياناتهم لأمانة الوحي الإلهي المنزّل عليهم، الأمر الذي يجعل دعوى الاقتباس مستحيلة، بل لا يمكن أن تخرج هذه الشبهة من لسان من له أدنى معرفة بحقائق القرآن الكريم[٣٤].

* التماثل والتشابه بين القرآن والكتب السماوية في بعض الأمور لا يدل على الاقتباس، بل يدل على وحدة المصدر، ولو كانت الكتب التي بأيدي أهل الكتاب لم ينلها التحريف والتبديل لوجدنا صوراً أكثر من التشابه والتماثل التي تقتضيها وحدة المصدر والهدف، ولا يعني الأمر حينذاك أن القرآن مقتبس من الكتب السابقة، بل ذلك معناه أن الله كما أنزل رسالة التوحيد وأصول التشريعات على الأنبياء السابقين أنزلها على رسوله الخاتم صلى الله عليه وسلم، والمراحل التشريعية للأمم السابقة كانت تقتضي عدم التفصيل في كثير من الأمور التي تركت لخاتم الأنبياء، ولازال في الكتب السابقة مع ما نالها من التحريف ما يدل على ذلك، الأمر الذي فيه شهادة على صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم. وبناء على ما ذكرنا فإنه ليس في الإنجيل من صفات الله وصفات ملكوته وصفات اليوم الآخر إلا أمور مجملة، وكذلك التوراة ليس فيها من ذكر اليوم الآخر إلا أمور مجملة، وورد في العهد الجديد أن المسيح قال لأتباعه: "إن لي كلاما كثيراً أريد أن أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله، ولكن إذا جاء روح الحق فذلك الذي يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه ليس يتكلم من عنده بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بكل ما يأتي وبجميع ما للرب". وإذا دققنا في هذا الكلام فإنها بشارة واضحة بخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم حيث هو أخبر بكل ما يأتي من أشراط الساعة والقيامة والحساب والصراط والجنة والنار بصورة تفصيلية[٣٥]، كما أن الشريعة المحمدية هي التي قد شملت في تشريعاتها كل جوانب الحياة، فجاءت مكتملة تحمل في نفسها خصوصيات الخلود إلى يوم القيامة.

٢- الحقائق التاريخية تدل على استحالة الاقتباس القرآني من كتب أهل الكتاب أو غيرهم، وذلك كالآتي:

* إن حياة النبي صلى الله عليه وسلم كلها معروفة، حيث قضاها بمكة قبل النبوة، وقد سافر إلى الشام مرتين: إحداهما: في طفولته حيث لقيه بحيرا الراهب، وطلب من أبي طالب أن يحذر على ابن أخيه بعد أن رأى فيه من علامات النبوة[٣٦]، والثانية: في شبابه حيث ذهب في تجارة خديجة، وعاد بعدها

٣٤- عبد العظيم إبراهيم، **افتراءات المستشرقين على الإسلام: عرض ونقد**، ص ١٥-١٦.

٣٥- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، ص ١٢٥.

٣٦- أكرم ضياء العمري، **السنّة النبوية الصحيحة: محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية**، مركز بحوث السنة والسيرة النبوية، جامعة قطر، ١/ ١٠٦.

مباشرة، ومن الكذب القول بأن بحيرا قد ذهب معه إلى مكة، وأنه قد علمه قصص الإنجيل، فلو كان شيء من هذا قد حصل لذكرته كتب السيرة، التي لم تترك جانبا من حياة النبي صلى الله عليه وسلم إلا وسطرته، مما يجعل إثارة شبهة الأخذ من بحيرا ـ أرجح نموذج لمظنة الاقتباس عند من يدَّعيه ـ واضحة في بطلانها، الأمر الذي يسقط شبهة الاقتباس من أساسه.

* إن أول ترجمة عربية للتوراة كانت بعد ظهور الإسلام بقرن من الزمان، حيث إن أسقف إشبيلية يوحنا هو أول من ترجم التوراة إلى العربية عام ٧٥٠م، ثم ترجمها سعد بن يوسف عام ٩٤٢م، وكتبها بأحرف عبرية، ثم كتبها يافث بن علي في أواخر ذلك القرن بأحرف عربية، ويتعجب المرء كيف ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم الاطلاع على كتب لم يكن بمقدور الأحبار والرهبان في ذلك الزمان أن يطلعوا عليها كاملة؟ بل كيف يقال بأنه أخذ من الأناجيل غير القانونية التي اختفت في بلاد المسيحية؟ وإن كشفت الدراسات وعمليات تنقيب الآثار عن بعض هذه الكتب في هذا الزمان، وكيف لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصل إليها قبل قرون وفي بلاد لا تعير كتب أهل الكتاب أدنى اهتمام؟

* إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، فدعوى الاقتباس مع أمّيته صلى الله عليه وسلم ظاهر بطلانها.

وأما قولهم بأن القرآن منحول من شعر العرب، واستدلالهم على هذا بتماثل بعض الآيات مع شعر امرئ القيس أو غيره فهو أمر لا تقوم به حجة، وترده مع هذا كثير من الحجج، وذلك من عدة وجوه:

ـ إن نسبة هذا الشعر إلى امرئ القيس غير الصحيح، حيث يخالف أدبيات العصر الجاهلي، ويقول العقاد في بعض شعر الملك الضليل: "نظرة عابرة تحكم بأن الكلام مبتوت الصلة بالشعر الجاهلي كله، فضلا عن أن يكون من شعر امرئ القيس ذي الشاعرية الفذة التي طبقت الآفاق"(٣٧).

ـ إن التماثل في بعض الألفاظ لا يعني النقل على كل حال، ووقوع التماثل في بعض الألفاظ أمر طبيعي لا يقدح في كون القرآن من عند الله، وذلك لأن القرآن جاء بما تعهده العرب في كلامها من أمثلة واستعارات وما سوى ذلك من ضروب البلاغة.

٣٧- عباس محمود العقاد، **حقائق الإسلام وأباطيل خصومه**، كتاب الهلال، دار الهلال، جمهورية مصر العربية، العدد ١٦٩، ذوالحجة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، وعبدالعظيم إبراهيم، **افتراءات المستشرقين**، ص ٣٨.

- إن القرآن الكريم الذي هو نظام حياة الإنسان ورؤية متكاملة لا يمكن أن تحيط به أشعار امرئ القيس ولا دواوين غيره من الشعراء، ولا ينبع مثل هذه الشبهة إلا عن جهل تام بالقرآن الكريم وتعاليمه الشاملة والخالدة التي لا يمكن أن تصدر إلا عن الشارع الحكيم الخالق الخبير.

٣- **الإعجاز العلمي في القرآن والسنة:**

إن الحقيقة العلمية التي لم تعرف إلا منذ بضع سنين أو عشرات السنين وذكرها القرآن الكريم إنما تأتي تأكيداً على أن خالق هذه الحقائق العلمية هو منزّل القرآن الكريم، وهو باعث النبي الأمي رحمة للعاملين، وهو بلا شك موصول بالوحي، والقرآن في كثير من آياته دعانا إلى النظر وإلى السير في الكون والتفكر والتدبّر في آياته، وذلك لأجل أن نصل بإمعان الفكر إلى الحقيقة الكبرى وهي حقيقة هذا الدين، وأن الله الخالق المدبّر الحكيم القادر الذي لا نهاية لقدرته هو الذي أرسل هذا الرسول النبي الأمي، ونطق بهذا الكلام الذي لا يمكن أن ينطق به البشر في ضوء المعارف الموجودة في ذلك الزمان، وهذا لو كان قد قرأ وكتب وتعلم معارف العصر، ولكن الواقع أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ولم يجلس ليتعلم المعارف من أهل عصره، ثم يأتي بهذا الكتاب الذي في ثناياه يشير إلى أدق أسرار الخلق في الإنسان والكون، ما لا يترك مجالا للإنسان المنصف العاقل إلا أن يؤمن بهذا الدين وبصدق الرسول صلى الله عليه وسلم على أنه جاء بالرسالة من عند الله، والقرآن الكريم يعرض لهذه الحقيقة بأن القرآن الكريم آية كافية للإيمان بالله وصدق النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٣٨]، لذلك فإن بيان الإعجاز العلمي في القرآن الكريم من أهم طرق الإقناع بأحقية هذا الدين[٣٩].

والإعجاز العلمي ليس خاصا بالقرآن الكريم فقط بل يشمل الوحي بشقيه (القرآن الكريم والسنة النبوية)، والحقائق العلمية الحديثة قد أثبتت الحكم والفوائد لكثير من الأحاديث النبوية، وقد كتب العلماء المعاصرون في هذا الخصوص كتباً خاصة في الإعجاز العلمي في السنة النبوية[٤٠]، ومن حيث

٣٨- سورة العنكبوت، الآية: ٥١.

٣٩- انظر: أحمد فراج، في مقدمة كتاب زغلول النجار: **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ١/ ٥، وزغلول النجار، **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، المرجع السابق، ١/ ٢٨.

٤٠- من هذه الكتب القيّمة: صالح بن أحمد رضا، **الإعجاز العلمي في السنة النبوية**، مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، و محمد كامل عبد الصمد، **الإعجاز العلمي في الإسلام** (السنة النبوية)، الدارالمصرية اللبنانية، القاهرة.

المثال نذكر أن العلم الحديث أثبت أن جراثيم الكلب لا يمكن أن تزول إلا بالتراب مهما غسلت بغيره، وقد ثبت ذلك من تجارب عديدة أجريت في حقول معملية في بلاد لا تدين بدين الإسلام، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب"(٤١) وإن المسلم يزداد بهذا الإعجاز إيمانا، وإنه معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم وتصديق له بأنه لا ينطق عن الهوى بل إنه وحي يوحى، وإنه يدفع تلك الشبهات التي تثار لأجل التشكيك في مصدرية الوحي للقرآن الكريم، كما أن مثل هذا الإعجاز يفند تلك الدعاوي الكاذبة التي تتستر من وراء دعاوي العلم والأساليب العلمية الحديثة، حيث لا يكون الردّ أبلغ إلا أن يكون بمثله عن طريق العلم والمعرفة، بالعلم ومناهجه الحديثة(٤٢)، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾(٤٣).

قال ابن أبي العز: "إن النظر والاستدلال في الخلق والتعمق فيه يدل على ما تدل عليه آياته القولية السمعية، والعقل يجمع بين هذه وهذه، ويجزم بصحة ما جاءت به الرسل، فتتفق شهادة السمع والبصر والعقل والفطرة"(٤٤).

ويقول موريس بوكاي الطبيب الفرنسي في كتابه **القرآن والتوراة والإنجيل والعلم**: "لقد أثارت دهشتي هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن، والتي كانت مطابقة تماما للمعارف العلمية الحديثة، ولقد درست هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم سابق وبموضوعية تامة، بيد أني لا أنكر تأثير التعاليم التي تلقيتها في شبابي حيث لم تكن الأغلبية تتحدث عن الإسلام، وإنما عن المحمديين لتأكيد الإشارة إلى أن الدين أسسه رجل، وبالتالي فهو ليس بدين سماوي فلا قيمة له عند الله. وكان يمكن أن أظل محتفظا كالكثيرين بتلك الأفكار الخاطئة عن الإسلام وهي شديدة الانتشار، ولما تحدثت مع بعض

٤١- أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب، حديث رقم ٢٧٩.

٤٢- محمد كامل عبد الصمد، **الإعجاز العلمي في الإسلام** (السنة النبوية)، ص١٣-١٤.

٤٣- سورة المدثر، الآية: ٣١.

٤٤- ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ، ص ٩٣.

المستنيرين غير المتخصصين عرفت أني كنت جاهلا قبل أن تعطى لي عن الإسلام صورة مختلفة عن تلك التي تلقيتها في الغرب، وكان هدفي الأول هو قراءة القرآن ودراسة نصه آية آية مستعيناً بمختلف التعليقات اللازمة للدراسة النقدية، وانتبهت بشكل خاص إلى دقة بعض الإشارات الخاصة بالظواهر الطبيعية، ومطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن هذه الظواهر نفسها، والتي لم يكن لأيّ إنسان في عصر محمد أن يكوّن عنها أدنى فكرة، ثم قرأت إثر ذلك مؤلفات كثيرة خصّصها المسلمون للجوانب العلمية في القرآن، وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية فادحة فإننا لا نجد في القرآن أي خطأ"(٤٥). وفيما أوردنا دلالة واضحة وصريحة بأن دراسة القرآن من ناحية إعجازه العلمي يكفي لإثبات الحقيقة بأن هذا القرآن بهذه الحقائق العلمية في زمن لم يكن بإمكان البشر الوصول إلى تلك المعارف، لا يمكن إلا أن يكون من عند الله عزوجل ويستحيل أن يكون مكتسبا من الكتب السابقة من أهل الكتاب ولا غيرهم.

٤- النظر في دعوته ودينه وكمال تشريعاته:

إن التكامل في المنهج لإصلاح الإنسان ولإصلاح المجتمع الإنسانِي كما يبدو جليا في القرآن الكريم، يدل دلالة واضحة أنه منزل من عند الله عز وجل، وأنه خال من النقائص والعيوب، لا يتعارض مع فطرة الإنسان وسنن الكون، وقد وجهنا القرآن إلى هذا النوع من الاستدلال حيث قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾(٤٦)، فكونُه وحدة متكاملة يصدق بعضه بعضًا، لا تناقض فيه، دليل واضح على صدق الذي جاء به. سئل أعرابِيّ: بم عرفتَ أن محمدًا رسول الله؟ فقال: ما أمر بشيء فقال العقل ليته نَهى عنه، ولا نَهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم يدل عليه السمع والعقل، وهو الحق في نفسه، فإنه يحكم بالعدل، فالعدل هو الشرع والشرع هو العدل"(٤٧)، قال تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ

٤٥- التهامي نقرة، **القرآن والمستشرقون: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١/ ٣٦.

٤٦- سورة النساء، الآية: ٨٢.

٤٧- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، **النبوّات**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢١٥.

إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٤٨)، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾(٤٩) بعد ذكر قوله: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ .....﴾(٥٠)، قال شيخ الإسلام بعد ذكر هذه الآيات: "إن الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء هو حق وصدق، وتدل عليه الأدلة العقلية، فهو ثابت بالسمع والعقل، والذين خالفوا الرسل ليس معهم دليل من السمع ولا دليل من العقل"(٥١) كما أن كمال الشريعة وشمولها لكل نواحي الحياة، وصلاحية النص التشريعي في القرآن والسنة لاستيعاب كل التغيرات الزمانية والمكانية منذ نزولها إلى قيام الساعة لهو أكبر دليل على أن هذا الدين لا يمكن أن يكون من عند غير الله عز وجل.

ثانيا: الشبهة حول صحة جمع القرآن:

اتخذ المغرضون من وقائع جمع القرآن وسيلة للنيل من القرآن، وإيقاع التشكيك في كونه وحيا من عند الله عزوجل، وهذه المحاولة تمت حتى يحقق هدفين رئيسين:

* محاولتهم نزع الثقة عن القرآن وخلخلة الإيمان به، حتى لا يظل هو النص الإلهي الوحيد المصون من كل تغيير أو تبديل، أو زيادة أو نقص.
* تبرير ما لدى أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، حيث قد ثبت التحريف في **التوراة والإنجيل** من خلال البحث والدراسة الموضوعية، لأن معظم الذين يوردون هذه الشكوك هم من النصارى.

وقد أورد هؤلاء المشككون مواطن الشبهة في وقائع جمع القرآن فقالوا: إن القرآن الكريم كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم نصوصا متناثرة ولم تدوّن هذه النصوص ولم تكتب في مصحف إلا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم،كما أن جمعه لم يتم مرة واحدة بل أخذ مراحل متعددة :

١- جمع القرآن في عهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه بصورة غير موثقة كما يزعمون.

٤٨- سورة الملك، الآيات: ٨ – ١٠.

٤٩- سورة الحج، الآية: ٤٦.

٥٠- سورة الحج، الآية: ٤٢.

٥١- ابن تيمية، **النبوّات**، ص ٢١٤.

٢- جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه كان قابلا لإدخال كثير من الإضافات التي افتقر إليها تدوين القرآن فيما بعد، لأن القرآن لم يكن فيها مضبوطا ومشكولاً.

٣- الإضافات التي ألحقت بالنص القرآني، وأبرزها:

أولاً: نقط حروفه يتميز بعضها من بعض، مثل تمييز الخاء من الجيم والحاء، وتمييز الجيم من الخاء والحاء، وتمييز التاء ـ بوضع نقطتين فوقها ـ عن كل من الياء والباء والنون والثاء.

ثانياً: ضبط كلماته بالضم والنصب والكسر والجزم، وهذا أمر طارئ على جمع القرآن في المرحلتين السابقتين، وإن هذه الإضافات لم تكن موجودة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بل ولا في عهد الخلفاء الراشدين.

٤- إن تعدد القراءات يدل على الاختلاف فيه، وهو نوع من التحريف(٥٢).

وهم يذكرون هذا كله ليثيروا الشك في صحة القرآن الكريم وسلامته من التحريف، فعلام يصر المسلمون على اتهام التوراة بيد اليهود الآن، بأنها لا تمثل حقيقة التوراة التي أنزلها الله عزوجل على موسى عليه السلام، ولماذا لا يطلقون هذا الوصف على مجموعة الأناجيل التي هي الآن بيد النصارى؟(٥٣)

٥٢- قام جولد زيهر بمحاولة إخراج القراءات القرآنية من كونها وحياً من عند الله، نزل به الروح الأمين، إلى كونها تخيلات توهمها علماء المسلمين، وساعدهم على تجسيد هذا التوهم طبيعة الخط العربي، لأنه كان في الفترة التي ظهرت فيها هذه القراءات غير منقوط ولامشكول، وهذا ساعد في نطق الياء تاء في مثل "تقولون" أو "تفعلون"، وكذلك من شكل الحروف وضبطها بالفتح أو الضم مثلاً، ولهذا قرأ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا﴾ قرأها عاصم بالباء المضمومة، وقرأها الكسائي وحمزة نَشرا بالفتح وقرأها الباقون بالنون المضمومة، فقال جولد زيهر: "والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهوره إلى خاصية الخط العربي، فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة قد يقرأ بأشكال مختلفة تبعا للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية وفقدان الشكل (الحركات) في الخط العربي يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب، فهذه التكميلات للرسم الكتابي ثم هذه الاختلافات في الحركات والشكل كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات، فيما أهمل نقطه أو شكله من القرآن"، ويريد جولد زيهر من هذا الكلام أن هذه القراءات تحريفات معترف بها لدى المسلمين، وأن النصوص الإلهية المنزّلة على رسولهم أصابها بعض التحريف والتغيير، وهو وإن لم يقل صراحة بالتحريف إلا أنه وضع مبررات لوجود هذا التحريف والتغيير في القرآن، حيث إنه عرض بعد هذا القول أمثلة من القراءات ونسبها إلى السبب الذي ذكره سابقا (تجرد القرآن في ذلك العهد من النقط والضبط) انظر: **حقائق الإسلام في مواجهة المشككين**، ص ١٢.

٥٣- عبد العظيم المطعني، **الشبهة الأولى، جمع القرآن الكريم، حقائق الإسلام في مواجهة المشككين**، ص ١٢.

الجواب على هذه الشبهة:

وللرد على هذه الشبهة لابد أن نبين كيفية جمع القرآن الكريم[٥٤] وحفظه من قبل الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم حوادث جمعه وضبطه حتى تسقط الشبهة من خلال القراءة الصحيحة للوقائع وللبيئة المحيطة وأوضاع الصحابة، حيث من المستحيل أن يتم التغيير والتبديل في شيء من كتاب الله عزوجل في تلك البيئة المخلصة والمتجردة لدين الله عزوجل، و قبل أن نشرع في تفصيل ذلك ننبّه لأمرين مهمين غفل عنهما المشككون:

أولهما: أن المسلمين لا يسمون كل ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم قرآناً، بل ما يطلق عليه القرآن هو ما لم ينسخ تلاوته من الوحي، وهو الذي تدارسه جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم في العرضة الأخيرة قبيل وفاته صلى الله عليه وسلم.

والأمر الثاني: أن الأساس الذي حفظ القرآن، و اعتمد عليه المسلمون هو حفظ الصدور، و قد كان الاهتمام بتدوين القرآن في الصحف أمراً متمماً موثقاً لحفظ الصدور.

وأما جمع القرآن فقد تم خلال المراحل الآتية:

١- قد نزل القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم خلال ثلاث و عشرين سنة، فكان صلى الله عليه وسلم إذا نزلت السورة أو بعضها أمر الصحابة بكتابتها ووضعها في مكانها، و كان له كتّاب مختصون بكتابة الوحي، وهذا هو أول جمع للقرآن الكريم، فانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن كله محفوظ في الرقاع واللخاف والعسب وصدور الرجال ولما

٥٤- الجمع يأتي بمعنيين: الحفظ و الكتابة، حيث إن الحفظ هو أول معاني الجمع، فكان رسول الله أول جامع للقرآن، كما أن الصحابة كانوا حريصين على حفظ القرآن الكريم وجمعه في الصدور وهذا المعنى ورد في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ وعن ابن عباس كان رسول الله يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه من يريد أن يحفظه فأنزل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال يقول: إن علينا أن نجمعه في صدرك ثم نقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ يقول: إذا أنزلنا عليك فاتبع قرآنه فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أي أن نبيّنه بلسانك، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عزوجل. أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة، حديث رقم ٦٨٠، وأخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٤، و رواه النسائي، كتاب الافتتاح، جامع ما جاء في القرآن الكريم، حديث رقم ٩٢٦.

يجمع في مصحف واحد(٥٥)، وذلك لتتابع الوحي وعدم انقطاعه، وإن هذا التدوين أو الجمع المبكر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان وما يزال هو الأصل الثابت الذي قامت على أساسه كل المصاحف فيما بعد، وقد ذكر السيوطي الإجماع على أن ترتيب القرآن هو توقيفي لاشبهة في ذلك(٥٦).

٢- قد كان أصل تنزل القرآن على حرف واحد، فأشفق رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته وطلب التخفيف في ذلك على أمته، ورد عن أبي بن كعب قال: "لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فقال: يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين منهم الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط، قال: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف"(٥٧)، قال صلى الله عليه وسلم : "أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"(٥٨)، وقد حذر رسول الله من المراء في الأحرف السبع فقال: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأيّ حرف قرأتم فقد أحسنتم، فلا تماروا فيه ، فإن المراء فيه كفر، أو آية من كفر"(٥٩). وخبر نزول القرآن على سبعة أحرف خبر متواتر أراد الله به التيسير على الأمة عند قراءتها للقرآن الكريم(٦٠)، وليس في الأحاديث السابقة و غيرها ما يفهم منه أن هذه الأحرف كانت نصوصاً مختلفة، بل غاية ما فيه هو التسهيل في قراءة القرآن، وقد ذكر العلماء أن الأحرف هي وجوه في القراءة توافق لغات العرب مع السماح ببعض الإبدال لحروف بعض الكلمات أو إبدال بعض الكلمات بدلاً لكلمات أخرى تقاربها في المعنى أو ترادفها من غير مضادة ولا تناقض، لذلك فإن من الجهل بتاريخ القرآن أن ننسب ذلك لاحتمالات الألفاظ، وحالات الشكل والضبط، كما استنتج جولد زيهر(٦١).

٥٥- أخرج ابن حبان في **صحيحه**، عن زيد بن ثابت قصة جمعه للقرآن الكريم عندما أمره أبوبكر رضي الله عنه، حديث رقم ٤٥٠٦، في ذكر ما يستحب للإمام اتخاذ الكاتب لنفسه لما يقع من الحوادث والأسباب في أمور المسلمين، ١٠/ ٣٦٠.

٥٦- جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ١/ ٢١١.

٥٧- أخرجه الترمذي ، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم ٢٩٤٤، وقال أبو عيسى حديث حسن صحيح.

٥٨- أخرجه البخاري في **صحيحه**، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم ٤٧٠٥ ، ٤/ ١٩٠٩.

٥٩- أخرجه أحمد في **المسند**، حديث رقم١٨٩٥٥، ٤/ ٢٠٥.

٦٠- وقد نص على ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام، انظر: مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص ١٥٦.

٦١- انظر: مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ص ١٥٦ وما بعده.

٣- إن الفترة التي سبقت جمع القرآن في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لم تكن فترة إهمال للقرآن كما يزعم بعض الخصوم من المبشرين والمستشرقين، بل العكس هو الصحيح، حيث كانت فترة عناية شديدة بالقرآن،ولأجل ذلك كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يوصيان الصحابة الذين يذهبون للأقاليم خارج المدينة المنورة ألا يشغلوا الناس عن القرآن برواية السنة، وكان هذا الهدف وراء سياستهم في التقليل لرواية السنة في تلك الفترة.

٤- إن الجمعين اللذين حدثا في خلافتي أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما كان للوثائق الخطية التي حررت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم إملاء منه صلى الله عليه وسلم على كتبة الوحي، ثم تلاوتها عليه وإقرارها كما تليت عليه، وهذه الوثائق لم تدخل عليها أية تعديلات وهي التي نراها الآن في المصحف الشريف المتداول بين المسلمين، وروى ابن وهب عن مالك بن أنس أنه قال: "إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم"(٦٢).

٥- كان الهدف من الجمع في خلافة أبي بكر رضي الله عنه هو جمع تلك الوثائق المتفرقة في مكان واحد منسق السور والآيات، وذلك بعد أن استحر القتل في قراء القرآن وحدوث التخوف من ذهاب بعض القرآن وضياعه، فكلف الخليفةُ أبوبكر زيدَ بن ثابت ليجمعه في مصحف واحد بعد أن تتبعه من مكتوبات الصحابة ومحفوظاتهم، واستوثق له بتواتر الصحابة وإجماعهم، وكان هذا المصحف عند أبي بكر ثم عمر ثم حفصة رضي الله عن الجميع. وأما الجمع في خلافة عثمان فكان نسخا لما جمعه أبوبكر في مصحف واحد، حيث قد أرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل القرآن بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، و أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، و أمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق(٦٣). فكان الهدف من الجمع في خلافة عثمان رضي الله عنه من

٦٢- جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ١/ ٢١٥.

٦٣- أخرجه البخاري قصة جمع القرآن في عهد أبي بكر و عثمان رضي الله عنهما في **صحيحه**، باب جمع القرآن، حديث رقم: ٤٧٠١- ٤٧٠٢.

أجل توحيد المصحف الجماعي واستبعاد مصاحف الأفراد، وجمع الناس على القراءة الصحيحة التي قرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم في العرضة الأخيرة على جبريل في العام الذي توفي فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذهم بمصحف واحد، لأجل حماية الأمة من التفرق حول كتاب ربها، والقضاء على التعصب لقراءة بعض القرّاء على قراءة الآخرين(٦٤). وبهذا يتبين الفرق بين الجمعين واضحا، حيث إن جمع أبي بكر كان ضماً للوثائق الخطية التي حررت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم على صورتها الأولى حسب الترتيب التوقيفي لآيات القرآن الكريم. وأما الخليفة الثالث عثمان فقد جمع الأمة على القراءات الصحيحة التي قرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم في العرضة الأخيرة(٦٥). قال أبو عبدالرحمن السلمي: كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة، كانوا يقرؤون القراءة العامة وهي القراءة التي قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان زيد قد شهد العرضة الأخيرة، وكان يُقرئ بها الناس حتى مات، ولذلك اعتمده الصديق في جمعه، وعثمان عندما أراد نسخ المصحف(٦٦). والجمعان لم يُدخلا على رسم الآيات ولا نظمها أي

٦٤- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ١/ ٢١٠، وبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت، ١/ ٢٣٣.

٦٥- وقد ذكر البخاري في **صحيحه** سبب جمع أبي بكر حيث كان بسبب كثرة استشهاد حفظة القرآن الكريم والخوف من ذهاب بعض القرآن الكريم، وأما سبب جمع عثمان فقد روى البخاري أن حذيفة بن اليمان أتى من فتوح أذربيجان وأرمينيا يحذر عثماناً ويقول: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، ثم كلف مجموعة من الصحابة الذي ذكرنا أسماءهم في المتن على نسخ القرآن الكريم من المصحف الذي كان عند حفصة، وأن يعيدوا كتابتها وفقا للغة قريش، حيث قد ورد في رواية الترمذي حديث رقم ٣١٠٤ وصححه: فاختلفوا في "التابوت" و "التابوه"، فقال القرشيون بالأول، وقال زيد بالثاني، فرفعوا اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه بالتابوت ، فإنه نزل بلسان قريش ، وهذا ما يفهم من الحديث حيث إن ما فعله عثمان هو نسخ صحف أبي بكر مع إعادة رسم الكتابة وجعلها حسب لغة قريش، و أهمل الجمع الأخير من الأحرف السبعة ما تعارض مع الرسم العثماني، وليس في ذلك إهمال لنص القرآن، بل عاد الصحابة للأصل الأول وهو لسان قريش بعد أن زال سبب التخفيف والرخصة التي أنزل الله من أجلها بقية الأحرف، والذي دعا الصحابة لهذا الصنيع خوفهم من تفرق الأمة واختلافها بسبب هذه الرخصة التي فات محلها، والتي وقع الناس لجهلهم بحكمتها في المراء الذي حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم منه .

٦٦- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ١/ ٢٣٦.

تعديل أو تغيير أو تبديل، وبقي السماع هو الوسيلة لحفظ القرآن على مد العصور في ذلك الوقت حتى زماننا هذا[٦٧].

٦- فبشهادة الوقائع التاريخية ـ كما ذكرنا ـ إن القرآن الكريم لم تمر عليه فترات غموض واضطراب كما هو الشأن في التوراة والإنجيل، وما خضعا له من أوضاع لايمكن قياسها على تاريخ القرآن، فليس لخصوم القرآن أي سبب معقول في اتخاذهم مراحل جمع القرآن منافذ للطعن فيه، أو مبررا يبررون به ما اعترى كتابهم المقدس من آفات تاريخية.

٧- ومما يدل على أن القرآن الكريم قد جمع كما أنزل، إجماع الصحابة على صحة ما فعل عثمان رضي الله عنه، يقول علي رضي الله عنه: لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا، وقد امتثلت الأمة طائعة لأمر خليفتها، فأحرقوا ما في أيديهم من الصحف والمصاحف التي كانت قد كتبت قبل العرضة الأخيرة ففيها ما نسخت تلاوته، كما فيها بعض الأجزاء الناقصة التي يخشى أن يظن بعد برهة بأنها هي الصحيح فقط، وامتثال الصحابة وفعلهم إقرار لعثمان على صحة ما فعله، و دليل على أن ما فعله عثمان هو إعادة نسخ مصحف أبي بكر، ولوكان في فعله شائبة لثاروا عليه، كما ثار عليه البعض بسبب بعض شبهات أثيرت في عهده رضي الله عنه، ومن المعلوم أن عثمان لم يأمر عماله بمتابعة الناس في بيوتهم ومعرفة من أحرق ومن لم يحرق، فقد فعل المسلمون ذلك بمحض إرادتهم، و قد أثبت عثمان في مصحفه العرضة الأخيرة كما أثبتها مصحف أبي بكر، لذا أسقط منه كل منسوخ تلاوة، ومما يدل على دقة عثمان في جمعه أن عبد الله بن الزبير يقول: قلت لعثمان: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[٦٨] قد نسختها الآية الأخرى فلِمَ تكتبها؟ أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه عن مكانه: فلم يرفع عثمان الآية و هي منسوخة حكما لا تلاوة بآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[٦٩].

٦٧- عبدالعظيم المطعني، **جمع القرآن الكريم، حقائق الإسلام في مواجهة المشككين**، ص ٢٤.

٦٨- سورة البقرة، الآية: ٢٤٠.

٦٩- سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.

٨- وأما الحجاج فقد اقتصر فعله على وضع النقط، ولم يصنع سوى ذلك، و لو غيّر شيئاً أو زاد لشنع عليه أعداؤه في عهد بني أمية ثم بني العباس، ولكان فعله من الأمور التي يستمسك بها أعداء دولته، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث، الأمر الذي يدل على أن هذه الشبهات ليست مما تستند إلى حقائق تاريخية بل شبه واهية لا أساس لها من الصحة تنبئ عن جهلهم بتاريخ القرآن وعناد في قلوبهم.

ونذكر في الأخير شهادة المستشرق الإنجليزي توماس كاريل قال في كتابه **الأبطال وعبادة الأبطال**: "لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر أن يصغى إلى القول بأن دين الإسلام كذب وأن محمداً خدّاع مزور، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرجل مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا لمئات الملايين من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا"(٧٠).

****

٧٠- التهامي نقرة، **القرآن والمستشرقون: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١/ ٢٤.